غادامير في ضيافة دريدا: اِنصاتاً/ تفكيراً/ اِعترافاً.

بلال كوسة (باحث في الدكتوراه، جامعة سطيف2)

يتحاكم عمل الباحث في هذه المقاربة، إلى بحث إمكانية بناء حوار مستقبلي بين الهيرمينوطيقا والتفكيك، في إطار ما يسميه دريدا وبول ريكور بمشروع «الضيافة» التي يرتضيها دريدا بديلا للصراع، إذ اللقاءات المنتظمة التي جمعت ممثل اِستراتيجية التفكيك جاك دريدا بآخر أقطاب فلسفة التأويل المعاصرة هانز جورج غادامير، بينت المخاض العسير الذي مرّ به هذا الحوار، حيث اِستحال في البداية شرط الانصات والقبول والانفتاح، نتيجة لسوء تفاهم حول مسألة المعنى، ما دفع بجون غراندان إلى نعت هذا الحوار بأنه «حوار طرشان».

لكن غادامير اِلتفت بعدها إلى الآخر، وعرّف الهيرمينوطيقا «هي إمكانية أن يكون الآخر على حق»، وفي المقابل اِنفتح دريدا على لغة الآخر اِنصاتًا وتفكيرًا واِعترافًا، أي الحوار مع الآخر في إطار هيرمينوطيقا الذات. هذه الأخيرة تدرك ذاتها من خلال الحوار والتواصل مع الآخر.

الكلمات المفتاحية: جاك دريدا،غادامير، التفكيك، الهيرمينوطيقا، الضيافة، الذات، الآخر، الغريب،الاعتراف.

Gadamer hôte de Derrida : écoute, pensée, reconnaissance.

BilelKoussa (Doctorant, Université de Sétif)

Le travail de cette approche consiste dans la possibilité d'édifier un futur dialogue entre l'herméneutique et la déconstruction, dans le cadre de ce que Derrida et Ricoeur ont nommé le projet de l'hospitalité, celle-ci étant privilégié par Derrida comme substitution au conflit. Les rencontres organisées entre le représentant de la déconstruction Jacques Derrida et l'un des derniers herméneutes contemporaines Hans-GeogGadamer ont montré la difficulté particulièrement accrue à laquelle a fait face le dialogue entre eux. Ce dialogue nécessitait dès le départ les conditions de l'écoute, de l'accord et de l'ouverture, en raison de la mésentente autour de la question du sens, ce qui a amené Jean Grondin à le qualifier de "dialogue de sourds".

Mais Gadamer était soucieux de prêter attention à l'autre en définissant l'herméneutique comme étant « la possibilité que l'autre ait raison ». De son côté, Derrida a su s'ouvrir à la langue de l'autre par écoute, réflexion et reconnaissance, c'est-à-dire le dialogue avec l'autre dans le cadre d'une herméneutique de soi. Celle-ci se voit mise en valeur à travers le dialogue et le rapport à l'autre.

Mots-Clés : Jacques Derrida, Hans-GeogGadamer, Déconstruction. Herméneutique, Hospitalité, Soi-même, Autre, Etranger, Reconnaissance

المداخلة: غادامير في ضيافة دريدا: اِنصاتاً/ تفكيراً/ اِعترافًا.

إن المتتبع للخطاب النقدي المعاصر في مرحلة مابعد الحداثة الغربية، يجد أن فكرة الحوارات قد لاقت اِهتماما كبيرا من قِبل الدارسين، لما لهذه الاجتهادات من أهمية في بناء المعرفة وتثويرها، ولعل أبرز هذه الحوارات هي حوار التفكيك مع التأويل الذي كان حوارا صعبا، إن لم نقل مستحيلا، بينته اللقاءات التي جمعت دريدابغادامير في باريس سنة 1981م بمعهد غوته، تلتها لقاءات أخرى. قدم غادامير آنذاك محاضرة حول رؤيته «للهيرمينوطيقا والبنيوية الجديدة»، وحينما اِنتهى غادامير من محاضرته، قدم له دريدا جملة أسئلة، لكنه لم يفهم أسئلة ونوايا دريدا، ما اِستدعى تأجيل الإجابة إلى يوم الغد.

ومن العوائق التي صعبت الحوار بين غاداميرودريدا كما ذكر غادامير نجد:[1]

أولا: عائق اللغات: فليس من السهولة بمَكان أن نقيم حوارا بين متحاورين كل منهما يتكلم بلغته الخاصة الأجنبية، أو ينتمي إلى ثقافة معينة، والتي يعسر في بعض الأحيان فتح أقفالها والإحاطة بمصطلحاتها ومفاهيمها، ولهذا اِعتقد دريدا أن تقنية «الفهم» التي تكلم عنها غادامير هي الرغبة في تملّك المعنى، والقبض عليه، وهذا ما لم يفهمه دريدا في تصور غادامير، إذ كل محاولة في مسار الفهم لا تعدو أن تكون إلا إضاءة في جوانب النص، ودروبه، لا تصل إلى برّ اليقين، فالفهم فهوم في فضاء النص، وكل فهم هو قراءة داخل الحلقة التأويلية، فمهمة الهيرمينوطيقا هي الكشف عن آفاق جديدة غير مطروقة، ولا يعني البتة تملّك المعنى، وتقديم إجابات مطلقة عن الأسئلة المطروحة، ولهذا يتصور

1 - ينظر: هانز جورج غادامير: فلسفة التأويل- الأصول، المبادئ، الأهداف- ترجمة: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، المركز الثقافي العربي، (المغرب)،(لبنان)، ط2، 2006م، ص 193، 194، 202.

غادامير أن «كل قراءة تسعى إلى الفهم ليست سوى خطوة في هذا الطريق الذي لا يبلغ أبدا منتهاه، فكل من يختار هذا الطريق يدرك جيدا بأنه لا «ينتهي» أبدا من نصه: فهو يتعرض إلى الضربة عندما يمسه نص شعري في العمق حتى «يلج» في أعماقه ويتعرف عليه أن يستسلم (إلى هذا النص)»[1]

ثانيا: الاختلاف بين دريداوغادامير هو اِختلاف نتشوي بالأساس، لأن قراءة دريدالنيتشه ليست هي قراءة غادامير، فكل فهمه حسب منطلقاته وأدواته في القراءة؛ إذ يرفض دريدا كل محاولة تهدف إلى فهم نيتشه بطريقة أحادية، وعليه ينكر دريدا المحاولة التي يمثلها التأويل الهيدغري لآثار نيتشه، فهو يتهم كل تأويل أحادي لأثر نيتشه على أنه أسير العقل المركزي للميتافيزيقا، بيد أن غادامير يعتبر أنه رغم كل القساوة التي يستعملها هيدغر في قراءاته للنصوص الفلسفية أو الشعرية هي تأويلات مقنعة.

لكن قد يقول قائل: هناك نوع من العنف والقسوة في أسئلة دريدا، هل هذا يعني أنه ضد غادامير؟.دريدا ليس مع غادامير، وليس ضدّه فهو يختلف عنه. «أنا لست معك، أنا لست ضدّك، أنا أختلف عنك» هكذا أجاب دريداغادامير بعد نهاية الملتقى حينما سأله غادامير: سيد دريدا، هل توافقني فيما ذهبت إليه، ومن ثمة فدريدا يختلف مع غادامير ومع الآخرين، بل قُل يختلف مع ذاته، فهو يعيش دائما في حرب مع نفسه، «فأنا لست أنا، أنا مختلف عني، إذًا؛ أنا لا أنا. هكذا تكلم دريدا. وبذا فذات دريدا تسكنها ذوات أخرى تختلف معه وتتغاير فيما بينها، فهو الذات التي تسكنه.

واللافت من كلام دريدا، أن الغاية من الحوار ليس الوصول إلى تفاهم كلي، وإنما أن نتحاور لا لكي نصل إلى أرض واحدة، أن نتحاور من أجل التعدد والاختلاف، وهذا ما يراه غادامير حينما يقول: «يبدو لي هذا غير مبرر لكي ننطلق من مسار الاتفاق الذي يتشكل ويغيّر من شكله، عندما نسعى إلى وصف اللغة وتثبيتها المحتمل بالكتابة»[2]هذه النقود التي قدمها دريدالغادامير لا تحاول نفي خطابه، وإنما الاختلاف معه، لأن في التعدد والاختلاف نشدانا للانهائي،واللامكتمل، و اللامحدود.

وخيبة الحوار هي في الوصول إلى فهم كلي للآخر، ففهم الآخر في مقاصده يعني تملّكه، ومن ثمة تجاهل غيريته، خصوصا إذا كان «الآخر سر لأنه آخر»[3]،وبذا فالحوار المعوّل عليه هو الحوار

1 - المرجع نفسه: ص 190، 191.
2 - المرجعالسابق: ص 189
3 - جاك دريدا: الآخر سر لأنه آخر، ضمن كتاب: المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، ترجمة: حسن عمراني، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2005م، ص 63

اللامتناهي في الزمن، والمنفتح على تجربة الكائن(الكينونة). هو حوار تعمل فيه الذات على مساءلة ذاتها، ولهذا يرى غادامير بأنه «ينبغي بلورة حوار لانهائي بين الشركاء وبين الذات وذاتها بالنسبة للحوار الداخلي للنفس مع نفسها (المونولوج)»[1]

وإذا قرأنا التفكيك في علاقته مع التأويل، نجد بأن التفكيك يرتبط بالعرفان، إذا قلنا في المقابل بأن التأويل له حدود، ومن ثمة يرتبط بالانسجام والمعيار الذي يحكمه، أي هناك نوع من المعقولية تحتكم إليها فنيات التأويل، وهذا ما يرفضه دريدا الذي يعتبر أن المعقولية ترتبط بالثبات والتعالي «فالهيرمينوطيقا بالنسبة للتفكيكية تبدو غير مقبولة من الناحية المبدئية بما أنها تفترض مزيدا من المعقولية ... وما الحديث عن فن للفهم في واقع الأمر، إلا محاولة لإيصال مشروع المعقولية إلى حده المرسوم، وبتعبير هايدغر نقول إن الهيرمينوطيقا نسيان للكائن(الكينونة)، نسيان يحمل معه من الآلام والأهوال ما لا يمكن وصفه»[2]

و في حوار أجريته مع الأستاذ محمد شوقي الزين ولم ينشر بعد حول هذه الفكرة، اِعتبر هذا الأخير أن التأويل برهاني قائم على التفسير العقلاني، والتنسيق السميائي مع الرغبة في بلوغ المعنى، فإذا كان ذلك كذلك فإن التفكيك ما هو سوى عدول التأويل نحو مستويات متعرّجة من الجغرافيا النصية. ما التفكيك إذًا؛ إلا مقاطعة من أرض التأويل، فهو يبتدأ بالتأويل اِنتهاءً، أي يجعل من الإواليات التأويلية عضدا في رحلة القراءة، لكن قراءته باروكية/ غرائبية لا تستند إلى مركز، تقرأ المهمش والمنسي داخل النصوص، ما يشدّ الأنظار ويلفت الانتباه.

كما أنهما ضد المتعاليات. فالتأويل يدعو إلى الحوار الذي قوامه السماع والتفاهم، والإعراض عن سلطة رأي وعلوّه على الآخر، وكذا مهمة التفكيك البارزة هي التشويش على المركزيات، ورفض كل ما هو مطلق وأحادي، ودريدا هاهنا أراد أن يفكر بأرض مخالفة لأرض التفكيك، وهي أرض الهيرمينوطيقا، ليفعّل اِستراتيجيته داخل الأرض الجديدة، أي البحث عن ملامح التفكيك من خلال الانفتاح على التأويل، لأن معرفة الذات تتطلب معرفة بالآخر، من خلال اِستضافته ومعرفته، فهو شرط ضروري لقراءة الذات، ولهذا يقول غادامير في كتابه الحقيقة والمنهج فيما نقله جان غراندان«إنني لا أفهم إلا بمقدار ما أتعرف إلى ذاتي في الآخر، وأن أعرف هذا الآخر في الوقت ذاته، أي أن أترجمه إلى

1 - هانز جورج غادامير: فلسفة التأويل- الأصول، المبادئ، الأهداف- تر: محمد شوقي الزين، ص 190

2 - جانغراندان: المنعرج الهيرمينوطيقيللفينومينولوجيا، ترجمة: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون،(بيروت)، ط1، 2007م، ص 176

لغتي الخاصة»[1] .

وما يبتغيه التفكيك هو السامي أو الجليل(le sublime). فيما يبحث التأويل عن الجميل(le beau). الجميل هو الجميل، والجليل هو الجميل جدا، ولهذا اِستضاف الجليل (التفكيكي) الجميل (التأويلي)، وبذا فالتفكيك يستضيف التأويل.

يحتكم الجمال إلى الحكم وتدبير العقل(بالمعنى الذي درسه اِيمانويل كانط) لأنه يقوم على التوازن والانسجام والحكم الحصيف، فإن الجلال يلجأ إلى الخيال وفائض الصورة والخطاب كما تصور الأستاذ محمد شوقي الزين .

ومن ثمة فالاختلاف يكمن في الرؤية والمنهج، والغاية التي يتغياها كل منهما، والتفكيك لا يقرّ بوجود معنى مطلق أو حقيقة قارة أو ذات متعالية، حاله حال التأويل، لكن هذا الأخير في حدود، أي غايته ملامسة المعنى، ومعرفة الذات ذاتها في إطار هيرمينوطيقا الذات، وهذا ما يراه الأستاذ محمد شوقي الزين حينما يقول: «في الحقيقة لا يمكن الفصل بين التفكيك والتأويل إلا على سبيل التمييز النظري والانتماء المذهبي قد يعترض علينا بأن التفكيك لا يعترف بوجود المعنى أو الحقيقة أو الذات. بينما التأويل هو فلسفة في المعنى، وخطاب في الحقيقة، وتفكير منهجي في الذات كما فعل غادامير وبول ريكور»[2]

واِتجهالحوار بعد ذلك نحو الانفتاح والانفراج، «فغادامير» في العشرين سنة الأخيرة أعلن مراجعته للخطاب التأويلي في دائرةالحوار والتسامح، وعرّف الهيرمينوطيقا قائلا:«هي إمكانية أن يكون الآخر على حق»[3]، ومن ثمة الانفتاح على تجربة الآخر/ الغريب عن طريق تأويل مشروعه،فمحاولة الانفتاح هذه من قِبل «غادامير» تفتح سبيلا للحوار بين الأطياف الفكرية، بعدما كان «غادامير» قد رفض أن تقتحم التفكيكية صروح التأويل، ومن ثمة هناك اِستحالة للانفتاح والتوافق في البداية، لكن فيه اِحتمال وإمكانية للحوار، هذا الأخير يكون صامتا في المناطق المتوارية البعيدة عن الأنظار، وهذا ما يتصوره الأستاذ محمّد شوقي الزّين حينما يقول :«الحوارهو أيضا الجدال بين النصوص،أو السياقات

1 -المرجعالسابق: ص 180

2 - محمد شوقي الزين: الذات والآخر- تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع- منشورات الإختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف، بيروت، ودار الأمان ، الرباط ، ط1، ص239

3- محمّد شوقي الزّين: الإزاحة والاحتمال – صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص151.

أوالثقافات،هو أيضا الصمت الذي تقبع في طياته الهمسات أو النداءات»[1]

وأعلن «دريدا « هو الآخر مراجعته للخطاب التأويلي الغادامیري في دائرة الاعتراف؛الاعتراف بهذا الآخر الذي تنكّر له في البداية وحاول أن ينساه، إذ في سنة 2003م نظمت جامعة هايدلبيرغ بألمانيا ملتقى بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل «غادامير»، قدم من خلاله «دريدا» مداخلة بعنوان»حُملان» «béliers»* ،تكلم فيها عن علاقته بغدامير، و «اصطلح دريدا على هذا الحوار الصعب بينهما اسم « الانقطاع» «interruption « دون أن يكون مقاطعة قصدية من أحدهما أو من الآخر أو قطيعة بين منهجيهما في القراءة والفحص»[2] إذ القطيعة هاهنا ليست بمعنى الحد، وإنما بمعنى الاستمرار والديمومة والتواصل التي ينبثق عنها حوار القبول، أي حوار منتج فعّال، يتبدى في الحمل الذي يعتبر معاناةً ومأساةً، والتحمُّل عند «بول ريكور» « يعني أن يقع المرء طوعًا أو غصبًا عنه تحت قدرة تصرف الآخر، والتحمل يصبح معاناةً والمعاناة تبلغ حدود التألم»[3] .

واللافت للنظر ، والحال هذه، أن الاعتراف يولد من رحم المعاناة، فكأن الغريب هاهنا يقول للغريب: أيها الغريب لقد أثقلني الشقاء، شقاء الحمل والتحمّل والمعاناة، إذ عليَّ اِستضافتك والاعتراف بك عن طريق معرفتك والتعرّف عليك، من خلال قراءة مشروعك.

كتب «دريدا»عن «غادامير» معتبرًا إياه مدرسة فكرية، قدمت أفكارا نقدية بناءة ، و أقرَ بأن القرن العشرين هو قرن غادامير، وهذا ما يؤكده محمّد شوقي الزّين الذي يذهب إلى القول : «جاء نص دريدا لتفنيد هذه المزاعم وكثناء على غادامير حيث كتب إن القرن العشرين هو قرن غادامير ...، وغادامير هو في ذاته «مدرسة فكرية» أنارت القرن العشرين بقراءات نقدية جادة وأفكار معرفية خارقة، وطلعت على الفكر المعاصر بمنهج تتقاطع فيه الفلسفة والأدب والقانون واللاهوت، وهو

1 -محمّد شوقي الزّين : الإزاحة والاحتمال ، ص 316

2* Béliers» le dialogue ininterrompu : entre deux infinis, le poème est la retranxripition d'une conférence prononcée à la mémoire de Hans- GeorGGadamar ,à l'université de Heidelberg, le 5 fevrier 2003, p 76 voir : Jérémie Majoral, Points d'intersection et de déconstruction, lorsqu' il rend hommage à Hans GorgGadamer, le philosophe reformule en miroir son idée de la «déconstruction» concept auquel on a abusivement résumé sa méthode, le Magazine littéraire juin 2010 N° 498 , p 76.

* «الحملان»، الحوار غير المنقطع بين لا محدودين/ سرمدين، الشعر واللغة الواصفة في الخطاب المتلفظ في ذاكرة غادامير بجامعة هايدلبيرغ، في 05 فيفري 2003، ص 76

- محمّد شوقي الزّين: الإزاحة والإحتمال – صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، ص313.

3- بول ريكور: الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005م، ص320.

المنهج التأويلي أو الهيرمينوطيقا »[1]، وهذا يعد شهادةً وتسليمًا وتقديرًا للآخر، بوصفه معلمًا وعريفًا وبصيرًا، وبذا يعترف دريدابغادامير شهادةً وثناء ووعدًا وتذكّرًا ،وهي وجوه من وجوه الاعتراف، اِعتراف بالجهد والفضل والجميل ، إذ يتحصّر دريدا على رحيل غادامير كمفكر أنار القرن العشرين بأفكاره، حيث قام بسحب المقاربة التأويلية على كل ميادين علوم الفكر، ولهذا أثنى عليه دريدا بتأبينه وكتابة شهادات اِعتراف في حقه، وهنا يقول «غادامير» فيما نقله بول ريكور: «إن هيبة الأشخاص لا يكون أساسها الأقصى فعل إذعان واِستسلام للعقول، إنما فعل اعتراف ومعرفة، معرفة بأن الآخر أفضل حكما وبصيرة »[2].

ومما تقدم سلفا، يتبين أن العلاقة بين «دريدا»و»غادامير»، أضحت علاقة صداقة ومودة وعرفان بما هو شكر واِمتنان، هذا الأخير كما يتصوره بول ريكور فيما نقله محمّد شوقي الزّين هو أن «الامتنان في ثقافة الاعتراف يفيد التبادل والهدية وأساليب التقدير، فهو يضع الاعتراف في مستوى المشاركة ،وليس فقط على صعيد الانفعال»[3].

رحل غادامير عن دريدا في صمت، والصمت حوار بين النصوص وطريق إلى المعرفة، والسرمد هو الشيء المستمر الذي لا ينقطع، هو حوار داخلي خفي تحت النصوص وطبقاتها التكتونية، تحتاج إلى التحريك والخلخلة لكي تفصح عن نفسها، وتنتج الآخر وتفرزه، ولهذا يتصور الأستاذ محمّد شوقي الزّين أن «الانقطاع هو نهاية عالم وليس نهاية (ال)عالم :نهاية عالم توارى عن الأنظار ولكن الحوار لا يزال يشتغل في التكتونيات الفكرية من قراءة أو نقد أو تأويل أو فحص أو تمحيص»[4] ، فالعالم مفتوح على التأويل، وتحقيق فكرة الانقطاع تتم على مستوى العوالم الصغيرة، لأن العملية التأويلية هي عملية داخل العالم باعتبار هذا الأخير سرمديا طويلا يغشي العالم، ومن ثمة ينتهي عالم هو عالم الكتابة /المؤلف بوفاته وتواريه خلف اللغة، وتبدأ عوالم جديدة هي عوالم القراءة/ الكتابة بما هي عوالم تتعدد وتتنوع، بتعدد القراء وآلياتهم، التي تختلف حسب درجة التكوين الفكري (الحذاقة ،الدربة ..)، إذ القراءة تضمن التواصل مع مشاريع الكتاب، بوصفها حاملة لأرشيفات معرفية ، وهذا ما يراه محمّد شوقي الزّين حينما يقول:«انقطعت بلا شك أعمال غادامير أو دريداأوسارتو ،

1محمّد شوقي الزّين : الإزاحة والاحتمال ،ص 313

2- بول ريكور: سيرة الاعتراف، ترجمة: فتحي إنقزوَ، مراجعة: محمّد محجوب، دار سيناترا (تونس)، ط1، 2010م، ص260.

3- محمّد شوقي الزّين: الإزاحة والاحتمال، ص 126.

4- المرجع نفسه: ص 316.

ولكن الحوار معهم لا يزال قائما ما دامت القراءة لا تنتهي بزوال القراء أو الكتّاب»[1]، فالقراءة هي حملُ النصوص وتحمّلها، مخالطةً / مجالسةً/ مجاورةً / مطاوعةً / محاورةً ، ما يخلق علاقة حميمية بين القارئ والنص الذي أودعه أصحابه عند الآخرين /الغرباء /القراء، كما أنَ الكتابة ينكتب عبرها صاحبها ويتستر وراءها لتصبح هي الناطق باسمه، وهي تحيا بفعل القراءة والحوار، ولهذا يتصور محمّد شوقي الزّين أن «الحوار هو نداء حسب غادامير anspruch «، فما دام النص ينادينا بقوته المفهومية أو البلاغية (رغم موت المؤلف) فالحوار لا ينقطع ، والنداء يقتضي الإصغاء كما كان يقول غادامير»[2]، هذا النداء يأتي من النص الذي يحمل داخل طياته وطبقاته التحتية أصواتا خافتة تحتاج لمن يسمعها، ولهذا «فالتأويل مفتاحه الحوار، مادام أن اللغة لم تقل ما تريد»[3]، فاللغة تقول كل شيء ولا تقول أي شيء، فهي تُـمَنِّيك، تغريك، لكنها لا تفتح ذراعيها لك، إنّها متمنِّعة غير طيِّعَة، تحمل المعنى ونقيضه أو أثر المعنى « الذي نجد بموجبه أن أي تعبير له أبعاد متغيرة، فهو إذ يعني شيئا، فإنه يعني في الوقت نفسه شيئا آخر»[4]

و لهذا أنصت «دريدا» «لغادامير» عن طريق حوار داخلي بين «دريدا» وذاته من خلال قراءة مشروعه، والإنصات إليه بالمحاورة ومحاولة الفهم وسماع كلمته، ولهذا يتصور محمّد شوقي الزّين مشايعة لغادامير، أن الحوار هو من يؤسس للفهم من خلال سماع آراء الآخرين ، ولهذا نجده يقول:«والحوار حسب غادامير هو أعلى مستويات التأويل ،لأنه يتيح للمؤول، الدخول في عالم النص لا لفضحه أو التشهير به أمام الملأ، وإنما لفهمه والبحث في أغواره عن إمكانات تخدم أيضا قضايا المؤول»[5]، وبهذا يكون «دريدا» حاملا لغادامير في ذاكرته طيفًا/ غيابًا عن طريق التفكير فيه، «وعندئذ تكون مهمة التفكير نوعا من الفعالية الذاكرية ، وتذكّر ما نسي، وكشف ما هو متخفّ، أو مطمور ضمن الموروث الفلسفي الغربي نفسه»[6]، أي تذكّره واِستحضار أثره الذي اِندثر بفعل النسيان، وهنا يتصور الأستاذ محمّد شوقي الزّين أن «الاعتراف هو أساسا التذكّر لأن الذكرة بوصفها آلية الاعتراف تغترف

1- المرجع نفسه ،ص 316

2- المرجع السابق: ص 317.

3- غادامير: فلسفة التأويل –الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة: محمّد شوقي الزّين، ص 22.

4- بول ريكور: صراع التأويلات –دراسات هيرمينوطيقية- ترجمة: منذر عياشي، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2005م، ص99.

5 - محمّد شوقي الزّين : الازاحة والاحتمال ، ص 314

6 - ج. هيو. سلفرمان : نصيات بين الهيرمينوطيقا والتفكيكية ، ترجمة : حسن ناظم وعلي حاكم صالح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء (المغرب) ، بيروت(لبنان) ، ط1 ، 2002 ، ص307

من الخيال»[1]، فالذاكرة تنطوي على فجوات من النسيان، لأن النسيان من الذاكرة، فكل طرف ينطوي على الطرف الآخر، إذ النسيان ينطوي على ذاكرة ضمنية كشيء خفي شبه شعوري أو لا شعوري، فلا نسيان كلي ولا ذاكرة كلية، كما أن النسيان جزء من الذاكرة، وطبقة من طبقاتها الجيولوجية، فهو يسكنها من الداخل كنسيان اِحتفاظ،وهنا يقول بول ريكور: «هناك صور إيجابية من النسيان الذي أدعوه النسيان الاحتياطي بالفعل فمن كنز النسيان هذا أنهل حين يطيب لي أن أتذكر ما كنت ذات مرة قد رأيته أو سمعته أو أحسست به أو تعلمته أو اِكتسبته»[2]، فهذا النوع من النسيان هو نسيان رمزي وليس نسيان محو كلي، أو قُل نسيان نكران، فدريدا تنكّر في البداية لغادامير، لكن صورته بقيت حية خالدة في ذاكرته، وهذا راجع إلى الانطباع والبصمة والأثر الذي تركته اللقاءات الأولى في ذاكرة «دريدا»، لاسيما وأن الانطباع له مقدرة على البقاء والمكوث والدّوام «فالانطباع – التأثير يمكث كما يرى ريكور»[3]، ومن ثمة فلقاءات «دريدا» و»غادامير» تركت اِنطباعا في نفسية «دريدا» وذاكرته ، ولهذا كان هذا النسيان نوعا من التنكّر للآخر، إذ ننسى لإنكار حقيقة معينة وإقرارها، فالصدمة نريد أن ننساها ولا نتذكرها، لكننا لا ننساها، فهي حاضرة كنسيان اِحتياط، وبذا نحاول أن نتذكر الآخر لكي نحييه في ذاكرتنا، لذلك نجد «دريدا» يتنكّر لشبح «غادامير» لكن هذا الأخير يلازمه في ذاكرته، فالغاية إذًا ليس نسيانه، وإنما من أجل نكرانه لمخالفته وإعطاء خصوصية للذات.

ومن ثمة فالتفكيك عليه أن ينصت للآخر، لأن أساس الحوار حسب «هايدغر»، فيما نقله عبد الكريم شرفي هو «الإصغاء وليس الكلام»[4]، إذ الآخر مختلف عن «دريدا» في اللغة والهوية والوطن، ولا يمكن اِتخاذ أي قرار اِتجاهه إلا بعد قراءة مشروعه والتعرّف عليه.

فالعلاقة بين التأويل والتفكيك هي علاقة إنصات وحوار، هذا الإنصات والتفكير أوصل «دريدا» إلى الاعتراف بغادامير، وهذا يعني» أن أفكر فيك، هو أن أعترف بك وأستدعيك، ومن ثمة أعرفك ثم أعترف بك ،كآخر غيري ومختلف عني أرى فيك صورتي «، فالحوار بين دريدا والطيف الغادامير الذي يسكنه هو حوار صامت.

ولكن بعد وفاة «دريدا» أمكننا أن نتكلم عن حوار الأطياف، إذ هناك أطياف فكرية تتحاور

1 - محمّد شوقي الزّين :الازاحة والاحتمال ، ص ،128

2- بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، دار الكتاب المتحدة الجديدة (بيروت)، ط1، 2009م، ص607.

3- المرجع نفسه، ص 624.

4- عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص 108.

همسا بعيدا عن صخب الوجود، وكي نسمع هذا الحوار لابد من إعمال فكرة الإنصات تماما كما أعملها «دريدا»، أي بفعل القراءة التي تنتج خطابا فوق خطاب. فصلب العلاقة بين التفكيك والتأويل هو أن كليهما يتبنى ثقافة الإنصات، فأطياف «غادامير» تلازم ليالي «دريدا»، إذ يبقى -غادامير- في ذاكرة «دريدا» حيا محجوبًا، فهو يحمله في ذاكرته شبحًا/ طيفًا/ نسيانًا/ غيابًا /ترحلاً ليؤسس لخطاب الضيافة.هذه الأخيرة «هي جهد مستمر للخروج من ذاتي والإقامة عند الآخر، كيأصحح رؤيتي لنفسي ومعرفتي لذاتي»[5]، فالضيافة الدريدية من هذا المنطلق هي «ضيافة لغوية»، وخدمة وزيارة إلى بيت الغريب، هذا الحملُ يتجلى في صورة طفل صغير، إذًا كل طفل هو حمل .

فالطفل الصغير «béliers» هو رمز «غادامير» حمله «دريدا» في ذاكرته ، فدريدا اِنفتح على ذات الغريب / العائد/ الطيف الغدميري الذي يسكنه، ولهذا يرى بول ريكور « إن داخل كل جسد هناك جسد خاص، جسد ينتمي إلى حلقة ما يخصني أنا بالذّات»[6]، فمن منظور تأويلي «إذا أردت أن تعرف ذاتك فعليك أن تنفصل عنها لتراها في مرآة الآخر بما يحقق المباعدة أو التماسف* « ، بمعنى تحقيق مسافة معنوية بين الذّات وذاتيتها، ففهم الذّات** يتحقق من خلال التماسف «إذ هذا الأخير هو شرط كل معرفة»[7]، وبذلك أقرأني كآخر، لاسيما وأن كل فهم هو فهم من بعيد كما يتصور «ريكور»، ولهذا أراد «دريدا» أن يتأول ذاته لكي يعرفها، وذلك عن طريق التقليل من سلطة الذّات المركز لاكتشاف المحجوب داخل الذّات، (ذات دريدا) التي هي جزء من التأويل.

ولهذا فالغريب/ العائد مغيّب في الذّات، ولا يأتي من خارجها، وهو نتاج اِنفصال الذّات عن ذاتيتها، أو نتاج حركة تباعد الذّات عن نفسها، فكل ذات تسكنها ذوات أخرى تحتاج إلى الكشف عنها عن طريق التأويل، ولهذا تتحقق فكرة «رامبو» «أنا هو الآخر» «le je c'est l'autre « . فرامبو حينما تأول ذاته قال فيما نقله بول ريكور « لقد تعرفت إلى نفسي شاعرا »[8]

5- بول ريكور: الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، ص 22.
6- المرجع نفسه ، ص51.
* التماسف : يعني أننا نستطيع في الوقت عينه أن نظل تابعين إلى حضارة معينة، وأن نضع في الوقت عينه مسافة (distance) بيننا وبين هذا الانتماء، تعني أيضا المباعدة أو ترك مسافة بين الذات وذاتيتها ، أو بين الذات والوقع الجمالي (الأثر). يُنظر: بول ريكور: الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، ص47.
** الذات مصطلح فينومينولوجي تأويلي مع بول ريكور « وكيف أن الإنسان هو حيوان يؤول ذاته بذاته كما قال تشارلز تايلور »، ينظر: بول ريكور: الذات عينها كآخر، ص358.
7- المرجع نفسه ، ص47.
8- بول ريكور: سيرة الاعتراف، تر: فتحي إنقزّو، ص 109.

ولكن قد يقول قائل: تُرى كيف اِحتمل التفكيك التأويل ؟

يتبدى هذا الاهتمام أو لنقل «التحمّل» في قراءة «دريدا» لشعر بول سيلان على خطى غادامير خصوصا في المقطع الأخير: [1]

«لقد ذهب العالم، وينبغي عليّ أن أحملك»

«لقد زال العالم، ويجب أن أحتملك»

«إنها نهاية العالم، وحملي لك واجب»

«العالم آفل، وأنا لك حامل...»

فلقاء «دريدا» «غادامير» هو في الشاعر بول سيلان حينما يقول «دريدا» «لغادامير»«Le monde est parti , il faut que. Je te porte »[2]« العالم آفل، ويجب عليَّ أن أحملك».

نفهم من هنا إدراك «دريدا» من خلال تفكيكيته، العبء التأويلي وضرورة حمله واِحتماله، وحمله هو فداء له، فهي معاناة ومكابدة كحمل الأم لوليدها، وهذا ما يتصوره محمّد شوقي الزّين حينما يقول:«فهاهودريدا «يحملُ» غادامير في «ذاكرته وقلبه « ويحتمله، وعيا منه ووعدا عليه ، أي عندما «يحتمل» التفكيك موضوعات التأويل، أي أنه يستبطنها ويدرك المشاق المترتّبة عن هذا الحمل (معاناة شبيهة بحمل الطفل في بطن الأمّ) »[3]. فالتفكيك هو تعرية للآخر (التأويل) الذي يسكنك، ولهذا عليك أن تتغير عما أنت عليه لكي تعرف طيفك، أو ترتد على نفسك لتصبح آخرا، فهو وعد من طرف «دريدا» على تحمّل الآخر/ الغريب و« عظمة الوعد هي صدقه »[4]، فلا بد أن نكون مجتمعات الصداقة بما هي «فضيلة من أجل الغير»[5]، ومن ثمة فالتسامح والصداقة والصفح والحمل صفات إيتيكية تساهم في إرساء ثقافة الاعتراف، في ظل الوضع المأزوم الذي تعيشه البشرية اليوم، إذ أفلس العالم على مستوى الأخلاق.

ولهذا حمل التفكيكُ التأويلَ وتحمَّله، كما حمل دريداغادامير وتحمَّله في ذاكرته طيفًا/نسيانًا/

1 - جاك دريدا : نقلا عن : محمّد شوقي الزّين : الإزاحة والاحتمال ، ص 319 ، 318

2- voir : Jérémie Majoral, Points d'intersection et de déconstruction, lorsqu' il rend hommage à Hans GorgGadamer, le philosophe reformule en miroir son idée de la «déconstruction» concept auquel on a abusivement résumé sa méthode, le Magazine littéraire juin 2010 N° 498 , p 76.

3 - محمّد شوقي الزّين : الازاحة والاحتمال ، ص 318

4- بول ريكور : سيرة الاعتراف، ص 173.

5- بول ريكور: الذات عينها كآخر، ص 609.

غيابًا، لكي يؤسس لحوار لا ينتهي، فدريدا يحمل غادامير في الجلاء والخفاء، أي هناك آثار لغادامير في أرشيف دريدا، إذ اللغة الغادامیرية في ضيافة دريدية دائمة، مثّلها الحوار غير المنقطع بين سرمدين (دريدا، غادامير)، فالضيافة هي شقاء ومعاناة في الفهم الذي تتيحه الترجمة، هذا ما دفع بدريدا إلى أخذ وعد بعدم اِنقطاع الحوار بين الصفيحة التأويلية والصفيحة التفكيكية، وهذا ما يراه محمّد شوقي الزّين حيث يقول:«هاهودريدا يعترف إذن بأن تفكيكاته «تحمل» التأويل أو تحتمله كلحظة ضمنية، أو لنقل «تكتونية»، أي كصفيحة متشابكة مع صفيحة التفكيك»[1]، إذ يعترف دريدا بالحضور التأويلي في التفكيك عن طريق جدل النصوص واِشتغالها في الخفاء بدون دراية، فالتفكيك إذًا؛ هو سكنى الأغيار، هو سكن في المناطق المتوارية البعيدة عن الأنظار، وهذا هو معنى أن نسكن منفى الآخر/الغريب /البعيد عنا كل البعد في اللغة والهوية والوطن، هذا الحوار الظاهر أنه حوار بين شخصين لكنه حوار بين الصفيحة التأويلية والصفيحة التفكيكية، فهو حوار متضايفين، سرمدين لا ينقطعان .

فالتفكيك يستضيف الهيرمينوطيقا على أرضه، توافقا مع المقولة الهيغلية «الأوفبونغ»، التي من بين ما تعنيه أن الأمر الذي يشتغل على ذاته، يمكنه أن ينطوي على أمر يختلف عنه، ولهذا يعترف دريدا باللحظات التأويلية في التفكيك، كما أن العلاقة بينهما هي علاقة كياسميةchiasme، والتي هي بالمفهوم الفينومينولوجي عند موريس ميرلوبونتي، تحيل على التفاعل والتقابل والتصالب والتقاطع، إذ هناك وحدة ضمنية بين المعارف في صلب اِختلافهما المذهبي والمعجمي.

كما أن مشروع الضيافة الذي اِقترحه «دريدا» يتم على مستوى اللغة، إذ تحاول هذه الأخيرة أن تخلق بداخلها فضاء للنقاش والحوار، وعالما معيشا قوامه التسامح والضيافة والاعتراف، كما أن هذا الحوار يتم في عالم يسوده « صمت صاخب يقول أكثر مما يريد قوله حسب جيل دولوز »[2]، هذا العالم هو عالم اللغة التي يتخلّق داخلها الإنسان بما هو كائن لغوي، فكل تفكير هو تفكير داخل اللغة، وكل ضيافة هي ضيافة داخلها.

سار الحوارإذًا؛ بخلق وسط للتفاهم حول لغة ومساحة مشتركة، إذ اِعترف كل منهما بحدود الآخر، وإمكانية الاستفادة منه، عن طريق الانصات والتواصل، من خلال فعل القراءة الذي يتيح لنا معرفة لغة الآخر، لغة الغريب، لغة الضيف، ومن ثمة فالقراءة هي تواصل وحوار مع الآخر الذي

1 - محمّد شوقي الزّين : الازاحة والاحتمال ، ص 319

2_محمّد شوقي الزّين: الذات والآخر، ص83.

نرغب في معرفته، وبذا هناك اِستحالة للحوار لكن فيه اِحتمال للتعايش والانفتاح.

فالضيافة الدريدية هي ضيافة لغوية تجعل من قراءة دريدالغادامير ترجمة وكتابة حول هذا الأخير، وهذا ما يمثله نص دريدا بعنوان «حُملان» béliers» هذا النص يجعل غادامير ضيفا على الفكر الفرنسي.

ومن ثمة اِنطلق دريدا من مسألة الاغتراب اللغوي، حيث عبّر عن الشرخ الذي يعيشه، بين ذات ينتمي إليها من الناحية اللغوية، وذات ينتمي إليها من الناحية التاريخية والثقافية والاجتماعية والدينية، إذ شعر بأنه غريب عن اللغة الفرنسية التي أحبها وتعلمها، لكنه في آن محروم من اِنتماءه المزدوج العربي والعبري، ما دفعه إلى البحث عن ذاته ومعرفتها داخل أرض بديلة، لاسيما إذا كانت اللغة؛ أيّ لغة تستضيف الغرباء. فنقطة اللقاء بين دريداوغادامير تكمن في اللغة، بما هي نقطة الانطلاق لأي بناء معرفي. «فالحوار بين دريداوغادامير لم يكن حوار طرشان كما لو قلنا إن حوارا حقيقيا معينا قد يخلف الصمم، فكل حوار ومهما بدا من المتحاورين في مواقفهم، لا بد أن يترك آثارا في نهاية المطاف، إنه بالتعريف» انفتاح على الآخر، وبحث عن لغة أخرى غير لغتي أنا»[1]فدريدا لا يملك لغة أم أصلية، فهو يتكلم لغة الآخرين، وهذا حال الشعب اليهودي المهاجر الذي يتكلم لغة الضيف، ومن ثمة أعلن دريدا اِنتماءه إلى اللغة، فكل إقامة هي إقامة داخلها، «إذ لا سكن إلا سكن اللغة «كما قال الأستاذ عبد الغني بارة، ولا ضيافة إلا ضيافة اللغة، فكل غريب/ مهاجر هو في ضيافتها، ولهذا تساءل دريدا هل الانتماء يكون للأرض، أم للديانة، أم للغة؟.

1 - جان غراندان: المنعرج الهيرمينوطيقيللفينومينولوجيا، ترجمة: عمر مهيبل، ص 183